عقيدة الصابئة في كتابات مفسري القرآن

-دراسة مقارنة-

إعداد:

د. خالد بن منصور المطلق

قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

من ٢٤٩ إلى ٢٧٦

The Sabian Doctrine in the Writings of the Qur’an Interpreters
-A comparative study-

Prepared by: Dr. Khalid bin Mansour Al-Mutlaq
Department of Islamic Studies
Prince Sattam bin Abdulaziz University

عقيدة الصابئة في كتابات مفسري القرآن –دراسة مقارنة–

خالد بن منصور المطلق
قسم الدراسات الإسلامية– كلية العلوم والدراسات الانسانية بالأفلاج–جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز–المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني:k.almutlaq@psau.edu.sa

الملخص:

تتناول الورقة دراسة أحد أهم المعتقدات التي وردت في القرآن العظيم، وهي عقيدة الصابئة، وذلك من خلال بيان اتجاهات أمهات كتب التفسير الإسلامية الذين تناولوا عقيدة الصابئة والمقارنة بينهم، وذلك من خلال مبحثين: الأول: المقارنة بين حكاية المفسرين لعقيدة الصابئة، والثاني: المقارنة بين المفسرين في منهج الاستدلال على عقيدة الصابئة.

وعند المقارنة بين حكاية المفسرين يظهر الاختلافات الكثيرة بينهم من خلال خمسة مطالب: الأول: المقارنة بين المفسرين في التعريف بعقيدة الصابئة، والثاني: المقارنة بين المفسرين في حكاية هل الصابئة موحدون أم مشركون؟، والثالث: المقارنة بين المفسرين في حكاية كتاب الصابئة، والرابع: المقارنة بين المفسرين في حكاية نبي الصابئة، والخامس: المقارنة بين المفسرين في حكاية أصل ديانة الصابئة سماوية أم محرفة أم وضعية؟.

وأما عند المقارنة بين منهج الاستدلال على عقيدة الصابئة، فقد ظهر توافق المفسرين في استعمال بعض مناهج الاستدلال من خلال مطلبين: الأول: المفسرين الذين استندوا على اللغة في الاستدلال على عقيدة الصابئة، الثاني: المفسرين الذين استندوا على الآثار في الاستدلال على عقيدة الصابئة.

وكان من أهم نتائج البحث: غموض عقيدة هذه الملة عند المفسرين، وعدم المقدرة على تحديدهم لعقائدهم، واضطرابهم في الحكاية عنهم، ولعل ذلك بسبب عدم انتشار الصابئة في البلدان حتى ظن بعضهم أن الصابئة درجوا وانقرضوا فلا عين ولا أثر، وبسبب غياب الاستدلال عند أكثر المفسرين على عقيدة الصابئة بمصادر الصابئة، أو تاريخهم وواقعهم، أو كتب الجدل، والاكتفاء بالاستناد على اللغة والآثار.

كلمات مفتاحية: الصابئة؛ تفسير القرآن؛ عبادة الكواكب؛ المفسرين.

The Sabian Doctrine In The Writings Of the Qur'an's Commentators Comparative Study

Khalid bin Mansour Al-Mutlaq
Department Of Islamic Studies - College Of Science And Humanities In Al-Aflaj - Prince Sattam bin Abdulaziz University - Saudi Arabia.
Email:k.almutlaq@psau.edu.sa

Abstract:

This paper is a study for one of the most important beliefs mentioned in the Holy Qur'an, which is the Sabian doctrine. It shows the directions of the main printed sources of Islamic Tafseer books that dealt with the Sabian beliefs with a comparison amongst them, through two topics: first: the comparison between the stories or the narrations of the interpreters of the Sabian belief, and the second: the comparison between Interpreters in the method of inference on the doctrine of the Sabian.

When comparing the narrations of the interpreters, many differences among them appear through five demands: first: the comparison between the Interpreters in defining the Sabian creed, second: comparison between the Interpreters in the narration checking if the Sabian were monotheists or polytheists , third: comparison between the Interpreters in the narrations on the Sabian book, fourth: Comparison between the Interpreters in the narrations on the Sabian prophet, and the fifth: Comparison between the Interpreters in the narrations on the origin of the Sabian religion, is it heavenly, distorted, or man-made?

Regarding the comparison of the inference methods for the Sabian creed, the interpreters agreed to use some of the inference methods under the following points: first, those interpreters who relied on the language to infer the Sabian creed; second, those interpreters who relied on antiquities to infer the Sabian creed.

One of the most significant findings of the study was the ambiguity of this creed amongst interpreters, their inability to define its beliefs, and their confusion on telling stories surrounding it. This may be because the Sabians didn't spread throughout the countries so that people presumed that they had totally vanished, so there is no trace of them. As for majority of interpreters are lack of inference regarding Sabian doctrine, through Sabian sources, Sabian history, and reality, so they relied on linguistic and archaeological evidence.

Keywords: Sabian; Interpretation Of The Qur'an; Worship Of Planets; Interpreters.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

يلحظ الباحث في مقارنة الأديان تناول القرآنُ الكريم ملة الصابئة في أكثر من آية، وما ذاك إلا لخصوصيتهم واختلافهم عن باقي الديانات، ولذا نجد أن كتب التفسير تناولت في مواطن متعددة الحديث عن الصابئة وكتابهم وعقائدهم وبعض شرائعهم تبعًا لتناول القرآن لها، أو إشارات القرآن الإجمالية لبعض المعتقدات التي قد يكون لها نوع ارتباط مع عقائد الصابئة. ومع أن هذه التفاسير تحمل تراثًا كبيرًا في الحديث عن الصابئة من منظور المفسرين إلا أننا نلحظ قلة الدراسات حول حكاية المفسرين من خلال كتب تفسير القرآن.

وبتصفح لأبرز كتب التفاسير؛ يظهر شيءٌ من الموسوعية ومن التنوع والتباين بين المفسرين في الحكاية عن عقيدة الصابئة، فلذلك كتبت موضوع بحثي: (عقيدة الصابئة في حكاية مفسري القرآن -دراسة مقارنة-).

مشكلة البحث:

بالرغم من عناية الأبحاث العلمية المعاصرة في دراسة عقيدة الصابئة من خلال مصادرهم، إلا أن دراسة الاختلاف بين المفسرين في حكاية عقيدة الصابئة لم تحض بعناية الباحثين في مقارنة الأديان نظرًا لاتساعها وتناثرها في صفحات كتب التفسير، وقد أشار إلى هذا الاختلاف الكثير غير واحد من علماء المسلمين، ومن ذلك قول ابن القيم: (وقد اختلف الناس فيهم -أي الصابئة- اختلافًا كثيرًا، بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم). ومن هنا أصبحت الحاجة ماسة للمقارنة بين كتابات المفسرين في عقيدة الصابئة،

وذلك بغرض بيان الصواب من غيره في هذه المصادر العلمية المهمة وفي مسألة الاستدلال بها على عقيدة الصابئة.

أهداف البحث:

١-التعرف على كتابات المفسرين في عقيدة الصابئة.

٢-المقارنة بين حكاية المفسرين في دقة حكاية عقيدة الصابئة.

٣-المقارنة بين المفسرين في مناهج الاستدلال على عقيدة الصابئة.

أهمية البحث:

١-تسهيل السبيل أمام المختصين في استقراء وجمع ما تفرق في كتب التفسير في موضوع عقيدة الصابئة.

٢-غزارة المادة العلمية التي لم تحض بعناية الباحثين كما ينبغي.

٣-حاجة المختص في الجدل لتمييز الصواب من الخطأ في المصادر العلمية التفسيرية المهمة.

حدود البحث

تم استقراء أبرز أمهات كتب تفسير القرآن، على النحو التالي:

- أولاً: شمل البحث تعليقات المفسرين وشروحاتهم على الآيات المتعلقة بعقائد الصابئة الواردة في القرآن الكريم، وما ساقوه أيضًا من كلام غيرهم.

- ثانياً: من ناحية المصادر المخصصة في هذا البحث، فهي كتب التفسير التي تم انتقاؤها بناء على معيار الأهمية والأصالة(١)، مع استبعاد المختصر من تفسير آخر. وهي تحوي سبعة تفاسير مع اختلاف القرون والبلدان والمذاهب العقدية ومناهج التأليف، بداية من الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)

(١) انظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٢٩-٣٢، ٦٥-٦٦)؛ الذهبي، التفسير والمفسرون (١/١٤٧، ٢٠٥ - ٢٠٦)؛ الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه ص٩٠-٩١، ١٠٣-١٠٤.

الذي ألف بالمأثور، ومرورًا بالزمخشري (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م) المعتزلي، وحتى الرازي (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) الأشعري، ولم يكن هدف الباحثين استقراء كل الكتب التفسيرية بشكل تام، بل تم استعمال أشهر المصادر القديمة كأحد أدوات فهم اتجاهات المفسرين.

الدراسات السابقة:

يلحظ الباحثون في مقارنة الأديان وجود دراسات متناثرة عن الصابئة، مثل:

١-الصابئة المندائية في العراق، لعلي الزيدي، رسالة ماجستير في قسم أصول الدين بجامعة آل البيت.

٢-الصابئة دراسة تاريخية دعوية، لحمود الحارثي، مجلة جامعة الملك سعود.

٣-الصابئة معتقداتهم ودورهم الحضاري، لوفاء جوني، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات الإنسانية.

٤-الصابئة حقيقتهم وأصول معتقداتهم، إيهاب محمد، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط.

٥-المندائيون هل هم الصابئة؟، لمحمد علي خطاب، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق.

ويبقى أن ما ذكرته هنا نماذج لتلك الدراسات وليست استقراءًا تامًا لها، والقصد من ذلك بيان أن كل الدراسات السابقة تختلف في حدودها البحثية عن البحث المراد هنا، وعلى وجه الإجمال يقال: البحث يتجه ـ بصفة أوليّة ـ إلى حكاية مفسري القرآن لمعتقد الصابئة، والمقارنة بينهم في مدى دقتهم ومعرفتهم لها، بخلاف الدراسات السابقة التي تبحث في تاريخ الصابئة أو نقد عقائدهم.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي المقارن

تقسيم البحث:

المقدمة: تشمل المشكلة، والأهداف، والحدود، والدراسات السابقة، والمنهج، وتقسيم البحث.

المبحث الأول: المقارنة بين حكاية المفسرين لعقيدة الصابئة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: المقارنة بين المفسرين في التعريف بعقيدة الصابئة.

المطلب الثاني: المقارنة بين المفسرين في حكاية هل الصابئة موحدون أم مشركون.

المطلب الثالث: المقارنة بين المفسرين في حكاية كتاب الصابئة.

المطلب الرابع: المقارنة بين المفسرين في حكاية نبي الصابئة.

المطلب الخامس: المقارنة بين المفسرين في حكاية أصل ديانة الصابئة سماوية أم محرفة أم وضعية؟.

المبحث الثاني: المقارنة بين المفسرين في منهج الاستدلال على عقيدة الصابئة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المفسرين الذين استندوا على اللغة في الاستدلال على عقيدة الصابئة.

المطلب الثاني: المفسرين الذين استندوا على الآثار في الاستدلال على عقيدة الصابئة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

فهرس المراجع.

المبحث الأول: المقارنة بين حكاية المفسرين لعقيدة الصابئة

المطلب الأول: المقارنة بين المفسرين في التعريف بعقيدة الصابئة:

ورد ذكر الصابئة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

١-في [البقرة:٦٢]: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ".

٢-في [المائدة:٦٩]: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ".

٣-في [الحج:١٧]: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ".

فاختلف أهل التأويل في تحديد الصابئة على أقوال عدة يظهر من خلالها عدم وضوح هذه الملة لأهل التأويل خلاف الملل الأخرى كاليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوهم، فمن ذلك:

أ-التعريف بالمغايرة[١]: ومن ذلك:

- نقل الطبري[٢]: "الصابئون ليسوا بيهود ولا نصارى"، "ليسوا بمجوس ولا يهود ولا نصارى"، "قوم لا دين لهم"، وبمثله نقل الثعلبي[٣]؛ والواحدي[١]، وابن عطية[٢]

---

(١) التفسير بالمغايرة له أثر كبير في توضيح الغموض الذي يحيط باللفظة، فهي طريقة ميسرة وموجزة لكشف الحجاب عما يحيط باللفظة من غموض. انظر: البحث الدلالي في كتب الأمثال حتى نهاية القرن السادس الهجري للدكتور فرهاد عزيز ص٤٧-٤٩.

(٢) تفسير الطبري (١٤٦/٣).

(٣) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٠٩/١).

ب-التعريف بالبينية: ومن ذلك:

-نقل الطبري[٣]: "الصابئون بين المجوس واليهود"، "الصابئين بين اليهود والمجوس"، وبمثله: ذكر السمرقندي[٤]؛ والواحدي[٥]، ونقل ابن عطية[٦]، وبنحوه نقل الرازي بأن الصابئة: "طائفة من المجوس واليهود"[٧] ولعله يقصد أنها استمدت عقائدها من اليهود والمجوس وليس أنها طائفة من فرق اليهود ومن فرق المجوس في وقت واحد لاختلاف عقيدة المجوس وعقيدة اليهود، يؤكد هذا المعنى قوله في موضع آخر عن الصابئة: "فرقة أخرى بين اليهود والنصارى"[٨].

ج-التعريف بالمكان: ومن ذلك:

-نقل الطبري[٩]: أنهم "قبيلة من نحو السواد -يعني سواد العراق-"، "دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل" وبمثله نقل ابن عطية[١٠]، ونقل الثعلبي أنهم "قبيلة نحو الشام"[١١]؛ وبمثله نقل الواحدي[١٢]

---

(١) انظر: التفسير البسيط للواحدي (٦١٨/٢).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٥٧/١).

(٣) تفسير الطبري (١٤٦/٣).

(٤) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٥٩/١).

(٥) انظر: التفسير البسيط للواحدي (٦١٨/٢).

(٦) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٥٧/١).

(٧) مفاتيح الغيب للرازي (٥٣٦/٣).

(٨) مفاتيح الغيب للرازي (٢١٢/٢٣).

(٩) تفسير الطبري (١٤٦/٣-١٤٧).

(١٠) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٥٧/١).

(١١) الكشف والبيان للثعلبي (٢٠٩/١).

(١٢) انظر التفسير البسيط للواحدي (٦١٨/٢).

وكل هذه التعاريف السابقة يدل على غموض عقيدة هذه الملة عند من نقــل عنهم، وعدم المقدرة على تحديدهم لعقائدهم، ولعل ذلك بسبب عدم انتشــار الصابئة في البلدان حتى ظن بعضهم أن الصابئة "درجوا وانقرضوا فلا عين ولا أثر"[١].

ومع ذلك فقد نقل المفسرون بعض الحكايات الأخرى التي حاولت التعريــف بعقيدة الصابئة من خلال بيان المعنى اللغوي لكلمة الصابئة على ما يلي:

أ-الخروج من دين إلى غيره:

رجَّح الطبري أن أصل كلمة صابئة من الجذر العربي (صبأ فلان يصبأ طبأ): وهو من كان خارجًا من شيء إلى آخر غيره، وفيه إشــارة إلــى أن ملــة الصابئة دين مستحدث من دين آخر، وأن الصابئة كانوا على عقيدة أخرى ثم خرجوا منها[٢]؛ وبمثله: ذكر السمرقندي في أحــد قوليــه[٣]؛ والثعلبــي[٤]؛ والواحدي في أحد قوليه[٥]، وذكر أن ذلك يشمل حتى "الخارجين من الكفــر إلى الإسلام"[٦]؛ وأما الزمخشري فأوضح بأن المقصود بالخروج في معنــى الصابئة: أي العدول عن دين اليهودية والنصرانية إلى عبــادة الملائكــة[٧]، والعدول لا يشترط فيه أن صاحبه كان على دين اليهودية أو النصرانية ثــم خرج منه، وإنما يشمل كل من حاد عنه إلى غيره، يوضحه قوله في موضع

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي (٢٠٩/١)؛ وانظر: التفسير البسيط للواحدي (٦١٩/٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤٥/٣).

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٥٩/١).

(٤) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٠٨/١).

(٥) انظر: التفسير البسيط للواحدي (٦١٣/٢-٦١٤).

(٦) التفسير البسيط للواحدي (٦٢١/٢).

(٧) انظر: الكشاف للزمخشري (١٤٦/١).

آخر: "وما سموا صابئين إلا لأنهم صبؤا عن الأديان كلها"[١]، فسبب تسمية الصابئة عند الزمخشري أنهم مالوا إلى: "اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع"[٢]، وأما ابن عطية فقد اكتفى بذكر المعنى اللغوي المشهور "من خرج من دين إلى دين"[٣]، وبمثل هذا المعنى نقل الرازي عن أهل العلم[٤].

ب-رفع الرأس إلى السماء لعبادة الملائكة:

ذكر السمرقندي أن من الأقوال في أصل كلمة الصابئة: "من صبأ يصبأ، إذا رفع رأسه إلى السماء لأنهم يعبدون الملائكة"[٥].

(١) الكشاف للزمخشري (٦٦١/١).
(٢) الكشاف للزمخشري (٦٦١/١).
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١٥٧/١).
(٤) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥٣٥/٣-٥٣٦).
(٥) بحر العلوم للسمرقندي (٥٩/١).

المطلب الثاني: المقارنة بين المفسرين في حكاية هل الصابئة موحدون أم مشركون:

اختلفت حكايات المفسرين في هذه المسألة، فمن ذلك:

- نقل الطبري أنهم يقولون "لا إله إلا الله"[١]، ولكنه نقل بعد ذلك حكاية آخرين أن الصابئة "يعبدون الملائكة"[٢]، وأما السمرقندي فقد اكتفى بالنقل عن أن الصابئة "يعبدون الملائكة"[٣]، وأما الثعلبي فنقل أنهم "يقرون بالله عز وجل، ويعبدون الملائكة"[٤] وهذه الحكاية أكثر اتساقًا من النقل عن الصابئة بأنهم يقولون بالتوحيد ويعبدون الملائكة لما فيها من الجمع بين النقيضين، بخلاف الجمع بين الإقرار بالله والشرك بعبادة الملائكة، وأما الواحدي فأفصح في الجواب عن هذه المسألة بربطه بين المعنى اللغوي للصابئ والمعنى الاصطلاحي: فذكر أن "الدين الذي فارقوه هو تركهم التوحيد إلى عبادة النجوم وتعظيمها"[٥]، ونقل في قول آخر: أنهم "يعبدون الملائكة"[٦]، ويقولون: "إن الملائكة أربابنا"[٧]؛ وأما الزمخشري فنقل أن الصابئة صنفان: صنف يعبدون الملائكة، وصنف يعبدون النجوم[٨]، ولكنه في موضع آخر حرَّر حكاية قول الصابئة في منزع سجودهم للكواكب مع إقرارهم بالله

---

(١) تفسير الطبري (١٤٧/٢).

(٢) تفسير الطبري (١٤٧/٢).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (٥٩/١).

(٤) الكشف والبيان للثعلبي (٢٠٩/١).

(٥) التفسير البسيط للواحدي (٦١٤/٢).

(٦) التفسير البسيط (٦١٨/٢).

(٧) التفسير البسيط للواحدي (٣٨٧/٥).

(٨) انظر: الكشاف للزمخشري (٦٠٨/١).

العظيم، بأنهم يزعمون أن قصدهم بالسجود بالسجود هو السجود لله، ويتخذون الكواكب واسطة بينهم وبين الله[١]؛ وأما ابن عطية فنقل حكايتين: الأولى تحكي أن الصابئة يقولون لا إله إلا الله، والثانية تحكي أنهم يعبدون الملائكة، وأن زياد بن أبي سفيان كاد يضع عنهم الجزية حتى عرف أنهم يعبدون الملائكة[٢]، ويفهم من الحكاية الثانية أن قولهم بـ (لا إله إلا الله) أشهر من عبادتهم الملائكة حتى كاد أن توضع عليهم الجزية، وجمع في موضع ثالث بين الحكايتين، فقال "الصابئون: وهم قوم يعبدون الملائكة، ويستقبلون القبلة، ويوحدون الله"[٣] وفي هذا النص الصريح في التناقض لابن عطية الدلالة على أن منزع التناقض في حكاية ابن عطية ليس بسبب اختلاف من ينقل عنهم وإنما منزعه -برأي ابن عطية- أصل ديانة الصابئة التي تجمع بين القول بتوحيد الله وبين عبادة الملائكة؛ وأما الرازي فقد نقل قولين عن الصابئة: الأول: أنهم يعبدون الملائكة، والثاني: أنهم يعبدون الكواكب، ورجَّح أن الصابئة يعبدون الكواكب ويضيفون السعادة والنحاسة لهم[٤]، وأن لهم قولان في عبادة الكواكب: "الأول: أن خالق العالم هو الله سبحانه، إلا أنه سبحانه أمر بتعظيم هذه الكواكب واتخاذها قبلة للصلاة والدعاء والتعظيم. والثاني: أن الله سبحانه خلق الأفلاك والكواكب، ثم إن الكواكب هي المدبرة لما في هذا العالم من الخير والشر والصحة والمرض، والخالقة لها فيجب على البشر تعظيمها لأنها هي الآلهة المدبرة لهذا العالم ثم إنها تعبد الله

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٢٠١/٤).
(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٥٧/١).
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١١٢/٤).
(٤) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢١٠/١)، (٥٣٦/٣)، (٤١٣/٢٤)، (٣٦٥/٣٢).

سبحانه"[١]، وحاول تحقيق الجواب على إشكال: كيف يعبدون الكواكب ويقولون أن الله هو الخالق، بحكايته أن الصابئة: "يقولون إن الله تعالى خلق هذه الكواكب، وهذه الكواكب هي المدبرات لهذا العالم، قالوا فيجب علينا أن نعبد الكواكب، والكواكب تعبد الله تعالى"[٢].

ويظهر مما سبق عدم وضوح الجواب عند المفسرين في مسألة هل الصابئة موحدون أم مشركون عند المفسرين.

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٥٣٦/٣)، وانظر: (٥٦٦/٢٧)، (٦٥٧/٣٠).

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٣٤٤/٢).

المطلب الثالث: المقارنة بين المفسرين في حكاية كتاب الصابئة:

-نقل الطبري أكثر من حكاية أنهم "يقــرءون الزبــور"[١]، وبمثلــه: نقــل السمرقندي[٢]، والثعلبي[٣]؛ ونقل الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهمــا في تفسير {مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}: "يريد اليهود والنصارى والصــابئين"[٤] وفي ذلك تصريح أن للصابئين كتاب من الله، ولكنه شرح في موضع آخــر تعليقه على هذا الأثر بأن الصابئة من (أهل الكتاب) ولكن "سبيلهم في أهــل الكتاب سبيل أهل البدع فينا"[٥]، ويظهر من هذا التعليق أن الواحدي يرى أنه ليس للصابئة كتاب يتميزوا به عن اليهود والنصارى مثلمــا نقــل الطبــري والسمرقندي والثعلبي؛ وأما الزمخشري فنقل أن الصابئة صــنفان: "صــنف يقرؤن الزبور" حكمهم حكم أهل الكتاب، "وصنف لا يقرؤن كتابًا" فؤلاء ليسوا من أهل الكتاب[٦]؛ وأما ابن عطية فقد نقل حكايتين متناقضــتين: الأولــى: تحكي أنهم "يقرؤون الزبور"[٧]، والثانية: تحكــي أن لــيس لهــم كتــاب[٨]، فتختلف حكاية ابن عطية عن حكاية الزمخشــري بــأن الزمخشــري حكــى القولين ولكن نسب كل حكاية لطائفة من الصابئة، وأما ابــن عطيــة فنقــل القولين المتناقضين عن الصابئة جميعًا من غير تفصيل.

---

(١) تفسير الطبري (١٤٧/٢).

(٢) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٥٩/١)

(٣) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٠٩/١).

(٤) التفسير البسيط للواحدي (٣٥٩/١٠).

(٥) التفسير البسيط للواحدي (٣٦٤/١٠).

(٦) انظر: الكشاف للزمخشري (٦٠٨/١).

(٧) المحرر الوجيز لابن عطية (١٥٧/١)، (١١٢/٤).

(٨) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٥٧/١).

المطلب الرابع: المقارنة بين المفسرين في حكاية نبي الصابئة:

-نقل الطبري أن الصابئة ليس لهم نبي[(١)]، وأما الواحدي فنقل أن الصابئة "يزعمون أنهم على دين نوح، وهم كاذبون"[(٢)].

المطلب الخامس: المقارنة بين المفسرين في حكاية أصل ديانة الصابئة سماوية أم محرفة أم وضعية؟:

-نقل الطبري أنهم: "طائفة من أهل الكتاب"[(٣)]، وهذه الحكاية خلاف الحكاية -السابقة- التي نقلها الطبري أنهم "ليسوا بيهود ولا نصارى"[(٤)]؛ وبمثله: رجَّح السمرقندي: أن الصابئة "قوم من النصارى"، ولكنه فرق بين الصابئة وبين فرق النصارى المشهورة بأن الصابئة "ألين قولًا منهم"[(٥)]؛ وأما الثعلبي فنقل حكايتين: الأولى: بمثل ما نقله الطبري[(٦)]، وزاد في التفصيل بأن "سبيلهم في أهل الكتاب سبيل أهل البدع فيها"[(٧)] فهم مبتدعة أهل الكتاب عند الثعلبي، والثانية: ذكر أن الصابئة كانوا على دين سماوي "زمن استقامتهم"[(٨)]؛ وأما الواحدي فنقل قولًا أدق ممن سبقه في أن العلاقة بين النصارى والصابئة هي علاقة مشابهة في بعض شعائر الدين إلا أن بينهما اختلاف، ومن ذلك الاختلاف أن الصابئة "يزعمون أنهم على دين نوح، وهم

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤٧/٢).

(٢) التفسير البسيط للواحدي (٦١٩/٢).

(٣) تفسير الطبري (١٤٧/٢).

(٤) انظر: التعريف بالمغايرة في تمهيد المطلب.

(٥) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٥٩/١).

(٦) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢٠٩/١).

(٧) الكشف والبيان للثعلبي (٢٨/٥).

(٨) الكشف والبيان للثعلبي (٢١٠/١).

كاذبون"[١]؛ ونقل الواحدي في موضع آخر أن الصابئة من الذين (أوتوا الكتاب) من الله مع اليهود والنصارى[٢]، وفي هذا النقل: التصريح بأن أصل دين الصابئين سماوي، ولكنه شرح في موضع آخر معنى إدخاله للصابئة في مسمى (أهل الكتاب) بأنهم مبتدعة أهل الكتاب[٣]؛ وأما الزمخشري فاضطرب في الجواب عن هذه المسألة، فتارة: نقل أن الصابئة صنفان: "صنف يقرؤن الزبور" حكمهم حكم أهل الكتاب، "وصنف لا يقرؤن كتابًا" فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب[٤]، ويفهم من هذا أن الصابئة بصنفيهم ليسوا من اليهود والنصارى، وإن كان الصنف الأول لهم دين وحكمهم حكم أهل الكتاب –وهذا التقسيم يخالف التعميم في قول الزمخشري –المتقدم– أن الصابئين "صبؤوا عن الأديان كلها"[٥]، ومالوا إلى "اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع"[٦]–؛ وتارة نقل أن الصابئة نوع من النصارى[٧]. وأما ابن عطية فقد عدد من الأقوال المتعارضة في المسألة مما يدل على عدم وضوح الجواب لديه عن هذه المسألة، فمن ذلك نقل: أنهم "فرقة من أهل الكتاب" وعزاه للجمهور[٨]، ونقل قولًا ثانيًا معارضًا: بأنهم "ليسوا بيهود ولا نصارى"، ونقل قولًا ثالثًا وسط بين القولين السابقين بأنهم "قوم تركب

---

(١) التفسير البسيط للواحدي (٦١٩/٢).

(٢) انظر: التفسير البسيط للواحدي (٣٥٩/١٠).

(٣) انظر: التفسير البسيط للواحدي (٣٦٤/١٠).

(٤) انظر: الكشاف للزمخشري (٦٠٨/١).

(٥) الكشاف للزمخشري (٦٦١/١).

(٦) الكشاف للزمخشري (٦٦١/١).

(٧) انظر: الكشاف للزمخشري (١٤٨/٣).

(٨) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٢٢/٣).

دينهم بين اليهودية والمجوسية"[١]، وذكر قولًا رابعًا -في موضع آخر- يفهم منه بأن الصابئة -قبل نسخ الإسلام- دين سماوي مثل اليهودية والنصرانية[٢]، وأما الرازي فقد ذكر أن سبيل الصابئة في أهل الكتاب بمنزلة أهل البدع في المسلمين[٣].

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٥٧/١).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٥٦/١).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٦/١٦).

المبحث الثاني: المقارنة بين المفسرين في منهج الاستدلال على عقيدة الصابئة

المطلب الأول: المفسرين الذين استندوا على اللغة في الاستدلال على عقيدة الصابئة:

استند عدد المفسرين على اللغة في معرض استدلالهم على عقيدة الصابئة، وقد كان الدليل اللغوي هو منزع القول بأن الصابئة كانوا على عقيدة أخرى ثم خرجوا منها، فمن ذلك: استدل الطبري باللغة على أن الصابئة دين مستحدث من دين آخر كالمرتد من أهل الإسلام عن دينه. وذلك لأن العرب تسمى كل خارج من دين كان عليه صابئًا[(١)]، وأما السمرقندي فقد فصل في الاستدلال باللغة على عقيدة الصابئة، فنقل قولين في نسبة الصابئة، فذكر أن الصابئ من: "من صبا يصبو إذا مال؛ ويقال: من صبأ يصبأ، إذا رفع رأسه إلى السماء لأنهم يعبدون الملائكة"[(٢)]، وأما الثعلبي فقد اكتفى بنقل القول المشهور عند المفسرين: أن الصابئ هو من "مال وخرج من دين إلى دين"[(٣)]؛ وبمثله: فصَّل في النقل الواحدي[(٤)]، وأوجز ابن عطية[(٥)]؛ والرازي[(٦)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤٥/٢).

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٥٩/١).

(٣) الكشف والبيان للثعلبي (٢٠٨/١).

(٤) انظر: التفسير البسيط للواحدي (٦١٣/٢-٦١٦).

(٥) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٥٧/١).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥٣٥/٣)

المطلب الثاني: المفسرين الذين استندوا على الآثار في الاستدلال على عقيدة الصابئة:

وهي أكثر الأدلة استعمالًا من المفسرين، فمن ذلك: نقل الطبري تسعة عشر أثرًا في حكاية عقيدة الصابئة[١]؛ وبنحوه نقل: السمرقندي[٢]، والثعلبي[٣]؛ والواحدي[٤]؛ وابن عطية[٥]؛ والرازي[٦].

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/١٤٦-١٤٧)؛ (١٨/٥٨٤).

(٢) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (١/٥٩).

(٣) انظر: الكشف والبيان للثعلبي (١/٢٠٩).

(٤) انظر: التفسير البسيط للواحدي (٢/٦١٨-٦١٩)، (١٠/٣٥٩).

(٥) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١/١٥٧).

(٦) انظر :مفاتيح الغيب للرازي (٣/٥٣٦).

النتائج:

١- غموض عقيدة هذه الملة عند المفسرين، وعدم المقدرة على تحديدهم لعقائدهم، ولعل ذلك بسبب عدم انتشار الصابئة في البلدان حتى ظن بعضهم أن الصابئة درجوا وانقرضوا فلا عين ولا أثر.

٢- عدم وضوح الجواب عند المفسرين في مسألة هل الصابئة موحدون أم مشركون عند المفسرين.

٣- اختلف المفسرون في مسألة هل للصابئة كتاب؟ وما هو؟ على ثلاثة مذاهب:

٤- أ-نقل الطبري والسمرقندي والثعلبي: أن كتابهم الزبور.

٥- ب-يرى الواحدي أنه ليس للصابئة كتاب يتميزوا به عن اليهود والنصارى.

٦- ج-نقل الزمخشري أن الصابئة صنفان: صنف يقرؤن الزبور، وصنف لا يقرؤن كتابًا.

٧- د-نقل ابن عطية حكايتين متناقضتين: الأولى: تحكي أنهم يقرؤون الزبور، والثانية: تحكي أن ليس لهم كتاب.

٨- نقل الطبري أنه ليس للصابئة نبي، ونقل الواحدي أنهم يزعمون أنهم على دين نوح ﷺ، ولم يتطرق أكثر المفسرين للحديث عن هذه المسألة.

٩- اضطرب المفسرون في حكاية أصل ديانة الصابئة.

١٠- غياب الاستدلال عند أكثر المفسرين على عقيدة الصابئة بمصادر الصابئة، أو تاريخهم وواقعهم، أو كتب الجدل، والاكتفاء بالاستناد على اللغة والآثار.

المصادر والمراجع:

١- البحث في كتب الأمثال حتى نهاية القرن السادس الهجري، لعزيز فرهاد، دار غيداء، عمان، ٢٠٠٩.

٢- جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠.

٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق الثعلبي، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢.

٤- بحر العلوم، لأبي الليث السمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

٥- بحوث في أصول التفسير ومناهجه، أ.د. فهد الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٩.

٦- التفسير البسيط، لأبي الحسن الواحدي، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٠.

٧- التفسير والمفسرون، د.محمد السيد الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧.

٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢.

١٠- مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

١٤٢٠.

١١- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبدالعظيم الزرقـــاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، ١٣٦٢.

almasadir walmarajieu:

1- albahth fi kutub al'amthal hataa nihayat alqarn alsaadis alhijrii , lieaziz firhad , dar ghayda' , eamaan , 2009.
2- jamie albayan fi tawil alquran , liabn jarir altabarii , tahqiqu: 'ahmad shakir , muasasat alrisalat , altabeat al'uwlaa 1420.
3- alkashf walbayan ean tafsir alquran , li'abi 'iishaq althaelabii , tahqiqu: 'abu muhamad bin eashur , murajaeatu: nazir alsaaeidii , dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut , altabeat al'uwlaa 1422.
4- bahr aleulum , li'abi allayth alsamarqandii , tahqiqu: du.mahmud mitrajiun , dar alfikr , bayrut.
5- buhuth fi 'usul altafsir wamanahijihi, 'a.da. fahd alruwmi , maktabat altawbat , alriyad , altabeat alraabieat 1419.
6- altafsir albasit , li'abi alhasan , jamieat al'amir muhamad bn sueud al'iislamiat , altabeat al'uwlaa 1430.
7- altafsir walmufasiruna, du.muhamad alsayid aldhahbi, maktabat wahabata, alqahirat , 2000 mi.
8-alkashaaf ean haqayiq ghawamid altanzil , li'abi alqasim alzumakhshirii , dar alkitaab alearabii , bayrut , altabeat althaalithat 1407.
9- tafsir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziz , liabn eatiat , tahqiqu: eabdalshaafi , dar alkutub aleilmiat , bayrut , altabeat al'uwlaa 1422.
10- mafatih alghayb , lilfakhr alraazii , dar 'iihya' alturath alearabii , bayrut , 1420.
11- manahil aleirfan fi eulum alquran , limuhamad eabdaleazim alzarqani , matbaeat eisaa albabi alhalabii washarakah , altabeat althaalithat , 1362.